(SUJHUS) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (ISSN: 2959-5436)
عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث للعلوم الانسانية والتربوية والنفسية الذي اقامته جامعة سومر للفترة
من 24-25 نيسان 2024 /القسم الثالث/ محور التاريخ والجغرافية, الصفحات 340-348

مظاهر البعد الثقافي للأثار الحضارية في مجال القيم

م.د. وجدان جعفر غالب[1]*

[1]مركز دراسات البصرة والخليج العربي، جامعة البصرة، العراق

الملخص

ان الناظر في تاريخ الحضارات البائدة, يجد أن لها إرثا ثقافيا عريقا ضاربا في جذور الماضي, يبدو لتلل هيئة آثار تعكس للإنانية دلالات ثقافية مختلفة ومتنوعة في المعرفة, والقيم, وفي النظم وغير ذلك, كما يمكن للملم أن يستفيد من هذا الإرث الثقافي المتراكم عبر التين استفادة لا تتعارض وتعاليم الإسلام, المستمدة من هدي الكتاب والسنة.

إن الدلالات الثقافية تتعدد بتعدد الآثار المكتشفة, فإن يكتشف أثر من الآثار; إلا ويغرز عن مدلول ثقافي مدفون معه, وبتكرار النظر, وبمزيد من التأمل; يتجل لنا بعد ثقافي آخر... وهكذا, حتى نحصل على منظومة ثقافية متكاملة, نتخلصها من مجموع الحضارات المتعاقبة, لنقف على حقيقة مفادها أن الله تعالى كرم الإنسان, ومن دلائل تكريمه له أن وهب له عقلا مفكراً, وسخرله ماحوله, لتستقيم حاله, ولتهنأ عيشته.

الكلمات المفتاحية: ثقافة, آثار , حضارة, قيم.

Manifestations of the cultural dimension of civilizational effects in the field of values

Lecturer Dr. Wijdan Jaafar Ghalib[1]*

[1]Center for Basra and Arabian Gulf Studies, University Al- Basra , Iraq

Abstract:

Anyone who looks into the history of defunct civilizations finds that they have an ancient cultural heritage rooted in the past. The hills appear in the form of monuments that reflect different and diverse cultural connotations of selfhood in knowledge, values, systems, and so on. The knowledgeable can also benefit from this cultural heritage accumulated through the ages. Benefit that does not conflict with the teachings of Islam, derived from the guidance of the Qur'an and Sunnah.

The cultural connotations are as numerous as the antiquities discovered. If an antiquity is discovered; Unless it reveals a cultural meaning buried with it, and by repeating the look and with more contemplation; Another cultural dimension becomes clear to us... And so, until we obtain an integrated cultural system, which we extract from the totality of successive civilizations, to stand on the fact that God Almighty honored man, and one of the indications of His honoring of him is that He bestowed upon him a thinking mind, and made his surroundings subservient, so that his condition might be straightened, and he might be happy. .I lived it

Keywords: culture, traces of civilization, values.

*** Email address: wijdanamusawi9@gmail.com**

المقدمة:

إنّ الحضارة مرحلة فكرية ونفسية متعالية, يجب أن يصل إليها الفرد والمجتمع, والتغيير الذي يحصل على الفرد والمجتمع يجب ألّا يقتصر على الوسائل والأدوات الحياتية الحديثة; بل يجب أن يكون في الفكر والعقلية للفرد والمجتمع, لأن تغيير الوسائل دون تغيير العقلية والفكر الإنساني لا تحصل منه فائدة, فهذا التغيير هو في ذوق الإنسان ورغباته فقط.

كما تعد القيم أحد الركائز الرئيسية التي تقوم عليها الحياة البشرية, فهي روح سلوك الفرد, والمجتمع, وبها يرتقي, ويحقق إنسانيته, وهي التي تعطي المجتمع ملامحه الحقيقية, وتمثل أسمى جانب مشترك في طبيعة البشر, كما تمثل أبرز عناصر التمايز بين الأمم.

أما أهمية الموضوع تكمن أولا من خلال أمور عديدة, أهمها – أهمية الآثار في ثقافة الأمم والشعوب، وكذلك في اعتزاز الأمم بثقافاتها المتمثلة في صور آثار تعكس تلك الثقافات كثقافة القيم في الجمال والأخلاق.

المبحث الاول

1-القيم في اللغة:

جاء في قول ابن فارس: القاف والواو والميم أصلان صحيحان، يدل أحدهما على جماعة ناس، والآخر على انتصاب أو عزم، ومنه قولهم: قام قياما. ويكون بمعنى العزيمة فيقال: (قام بذا الأمر، إذا اعتنقه. وأصل القيمة الواو ([1]) ، وأصله أنك تقيم في هذا المكان وذاك، ومن الباب: هذا قِوام الدين والحق، أي به يقوما([2]).

وفي القاموس المحيط: القيمة بالكسر واحدة القيم، وماله قيمة إذا لم يدم على شيء، واستقام اعتدل، وقومته: عدله فهو قويم ومستقيم، والقوام: العدل وما يعاش به، والقوام: نظام الأمر وعاده وملاكه، واستقام: اعتدل([3]).

وقال الراغب (دينا قيما)([4]) أيً ثابتاً مقوما لأمور معاشهم ومعادهم([5])

وخلاصة القول أن القيم في اللغة; أنها تأتي بمعنى الاستقامة, والثبات, والاعتدال, كما تأتي بمعنى الأشياء التي تقوم عليها حياة الناس, كما تطلق على النظام والعماد والسند.

2-القيم في الاصطلاح:

يختلف تحديد المعنى الاصطلاحي للقيمة باختلاف المجالات والاتجاهات والمدارس العلمية, فهناك تعريف للقيم في المجال الاقتصادي, وتعريف للقيم في المجال السياسي, وهناك تعريف للقيم عند المختصين بعلم النفس وبعلم الاجتماع, وبعلم أصول التربية, وهناك أيضا تعريفات لا تنتمي لأي من هذه الاتجاهات, إلا أن هذه التعريفات لا تخلو من ثغرات ليس هذا موضع ذكرها وبسطها([6]).

وبناء على ذلك فإن أجمع التعريفات للقيم أن يقال هي: «القواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانية, وتختلف بها عن الحياة الحيوانية, كما تختلف الحضارات بحسب تصورها لها»([7]).

3- تعريف الحضارة في اللغة

قال ابن فارس: «الحاء والضاد والراء إيراد الشيء, وورود ومشاهدته. وقد يجيء ما يبعد .عن هذا وإن كان الأصل واحدا. فالحضر خلاف البدو([8])

والحضر والحضرة والحاضرة خلاف البدو وهى المدن والقرى والريف ، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم اقرار. والحاضر: الحي العظيم أو القوأ؛ وفلان حاضر بموضع كذا أي مقيم به([9]).

4-تعريف الحضارة في الاصطلاح:

تعددت تعريفات مصطلح الحضارة تبعًا للمدارس الفكرية التي تصدر عنها, والتطور من عصر إلى آخر, فابن خلدون يعرف الحضارة بأنها: «تفنن في الترف, وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه; من المطابخ والملابس والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله, لكل واحد منها صنائع في استجابته والتأنق فيه تختص به, ويتلو بعضها بعضا, و[تكثر] باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعم بأحوال الترف, وما تتلون به من العوائد, فصار طور الحضارة في الملك يتبع طور البداوة ضرورة, لضرورة الرفه للملك»([10]).

فيما جاء تعريف ديورانت للحضارة في كتابة قصة الحضارة قال: «إنها نظام اجتماعي يعين الإنسان على زيادة إنتاجه الثقافي بأوجهه المختلفة; من موارد اقتصادية, وعقائد خلقية, ونظم سياسية, ومتابعة للعلوم والفنون بشتى أنواعها, تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق»([11])

وبالنظر إلى التعريف السابق أجد أنه أشمل وأوسع؛ إذ يتمثل بالثقافة التي تعني بالقيم الثابتة والمبادئ الراسخة التي تقوم عليها الحضارة, كما يتمثل في المدنية التي تعني بالجانب المادي البحت للحضارة, كما يشمل أيضا الذوق الذي يصاغ منه السلوك.

إنّ الحضارة مرحلة فكرية ونفسية متعالية, يجب أن يصل إليها الفرد والمجتمع, والتغيير الذي يحصل على الفرد والمجتمع يجب ألّا يقتصر على الوسائل والأدوات الحياتية الحديثة; بل يجب أن يكون في الفكر والعقلية للفرد والمجتمع, لأن تغيير الوسائل دون تغيير العقلية والفكر الإنساني لا تحصل منه فائدة, فهذا التغيير هو في ذوق الإنسان ورغباته فقط.

المبحث الثاني

القيم وابعاده الثقافية في الحضارات بمجالي(الاخلاق والجمال)

يتجلى البعد الثقافي في الآثار فيما تتضمنه من دلالات, تبدو من خلال تراكم الخبرات والتجارب في الآثار الحضارية, والنظر فيها, والملاحظة والتأمل, وقراءة الأحداث, واكتشاف العلاقات بين الأشياء, ومعرفة سنن الله – تعالى– في أطوار الخلق, من خلال كل ذلك تبني المعارف الإنسانية, وتنتظم, فتتلقفها الأفكار, وتحدث ردود أفعال, كما أن تكرار الاطلاع على تلك الخبرات والتجارب; وتلك الآثار تعكس لنا مخزون ثقافي تراكمي عبر تتابع تلك الحضارات بما تحمله في طياتها من إرث كبير في الفكر والنظم والقيم, نتبين من خلال هذا الإرث العظيم إبداعاً بشريا في جميع نواحي الحياة.

وفيما يلي عرض لبعض مظاهر القيم الثقافي وابعاده الحضارية في جانبيه الأخلاقي والجمالي من خلال الحضارات القديمة.

الاخلاق: إن نتائج البحث التاريخي في الآثار والحفريات القديمة تنقل لنا معلومات قيمة عن الإسهام الحضاري في مجال الأخلاق لشعوب منطقة الشرق القديم, والتي لها دلالات ثقافية لا تخطئها الأعين, حيث وجدت لوحات خزفية تحوي تعاليم وضوابط للأخلاق, كالنصوص الأثرية للحضارة المصرية القديمة والتي تحكي جملة من النصائح, حيث جاء فيها: «ويحذر الناس من الكبرياء والحسد والترفع الفكري, وسرعة الغضب, ومن ظلم الفقير والقسوة عليه, ويوصي باللطف والايناس, واحترام الآخرين, وبالقناعة والتسامح, واللطف»([12]).

ولدى التحليل فإن مدارك الأخلاق: فكرية علمية, وفطرية وجدانية; وكونها فكرية علمية فلأن مكارم الأخلاق يؤيدها الفكر العلمي ويستحسنها, ويحث عليها ويوجب ما يوجب منها, ولأن رذائل الأخلاق يؤيد العقل اجتنابها, ويستقبحها, ويحث على البعد عنها, ويحرم ما يحرم منها, وأما كونها فطرية وجدانية فلأن في فطر الناس الوجدانية ميلا إلى مكارم الأخلاق ورغبة بالتزامها, وأن تلك الفطر تنفر وتشمئز من رذائل الأخلاق, وترغب باجتنابها ([13])

وليست الأخلاقً حكرا على حضارة دون حضارة, بل هي عامة بين البشر على تنوع أجناسهم وأعراقهم, وتعدد لغاتهم وثقافاتهم, بل واختلاف أزمانهم وأماكنهم, ولا أدل على ذلك من أن كثيرا من الأخلاق المحمودة كانت ولا زالت محل تقدير الحضارات كالصدق والعفو والعدل والشجاعة, وغيرها من الأخلاق الفاضلة.

كما أن الكهنة في ذلك العصر يسعون إلى نشر مبدأ المساواة بين الناس, وتحريم فعل السوء, حيث كشفت المتون المكتوبة على التوابيت الخشبية التي يرجع تاريخها إلى العصر القديم ما نصه: «لقد خلقت الرياح الأربعة ليتنفس بها الإنسان مثل أخيه الإنسان مدة حياته, ولقد خلقت المياه العظيمة ليستعملها الفقير مثل السيد, لقد خلقت كل رجل مثل أخيه, وحرمت عليهم إتيان السوء, ولكن قلوبهم هي التي نكثت ما قلته»([14]).

ومن العبارات التي كتبت على ورق البردي, وعلى شواهد بعض القبور في الحضارة المصرية والتي تحوي نصائح وتوجيهات لبعض الأخلاق الفاضلة والمحببة: «إن فضيلة الرجل المستقيم أحب عند الله من ثور الرجل الظالم أي: من قربان الرجل الظالم», «إنّ العدالة خالدة الذكرى فهي تنزل مع من يقيمها من القبر... ولكن اسمه لا يمحى من الارض بل يذكر على مر السنين بسبب العدل, إن فضيلة الرجل هي أثره, ولكن الرجل السيئ الذكر منسي»([15]) ..

وفي الحضارة الإغريقية ومن خلال القصص والأمثال التي يوردها القصاص على لسان الحيوانات, كانت تنتهي دائماً بمغزى اجتماعي, وأخلاقي, كما أن كثير من الفلاسفة في ذلك الوقت شغفوا بالحديث عن الأخلاق ودعوا إليها, ولا يخفى مدى العمق الثقافي والفكري لدى هؤلاء الفلاسفة([16])

أما في الحضارة الصينية تشير المصادر الأثرية إلى أن اقتناع الفرد الصيني بالعبادة المقدسة في بداية حياته الإنسانية توجد فيه الإخلاص, والوفاء, والثقة، والتضامن, وتدفعه إلى فهم الواجب والفضيلة, وإلى القيام بأعمال الخير واجتناب أعمال الشر, كما تولد فيه الشعور بالذنب, وطلب المغفرة إذا ما ارتكب خطيئة, أو عمل عملا من المحرمات التي ينهى عن فعلها, واختلط لدى المجتمع الصيني الجزاء الديني بالجزاء الأخلاقي.([17])

وفي المقابل فإن بعض الممارسات الأخلاقية البيئية التي كانوا يمارسوا هي محل استهجان من خاصة الناس وعامتهم, ومن ذلك البذخ والإسراف الذين عرفتا تبا الحضارة اليونانية حتى استحكم على عادة الناس, فلقد مات أحد حكامهم وذكر في وصيته قوله: «لما لم يكن الإكرام الحقيقي عبارة عن له باطلة; بل هو لتذكر أقدار الموتى, فأنا آمر أولادي أن لا يتفقوا عل جنازتي أكثر من مليون آس»([18]).

وبعد هذا العرض للقيم الأخلاقية المستفادة من الآثار الحضارية; يتبن لي أن وجود تلك القيم الإنسانية لدى تلك الأمم دليل واضح عل مدى التطور والرقي والقدم الأخلاقي الذي عايشته تلك الحضارات, بل إن من متطلبات قيام حضارة ما أن يتحلى الأفراد بالأخلاق الإنسانية. يقول سيد قطب في كتابه معالم على الطريق: (حين تكون القيم الإنسانية والأخلاق الإنسانية؛ هي السائدة في مجتمع، يكون هذا المجتمع متحضراً... إنها القيم والأخلاق التي تغمي في الإنسان خصائص الإنسان التي يتفرد الى دون الحيوان... »([19])

اما في الجمال :فهو فن الإحساس والجمال قديم قدم الوجود البشري, ولهذا اهتم الإنسان بـه, وحـرص عـلى إيضاحه وبيانه منذ القدم, وتفـنن في إبـرازه, ومـن أبـرز الحـضارات القديمـة التـي لهـا رؤيتهـا وفلسفتها الخاصة بالجمال; الحضارة المصرية والهندية والصينية واليونانية والرومانية وحضارة بلاد الرافدين. والإنسان بطبعه يطلب الجمال ويأنس به, وتشتاق نفسه إليه, «فالجمال والزينـة مستحسنة بالعرف والعادة من غير أن يوجبه عقل أو شرع»([20]).

والجمال الذي يجتهد الإنسان إلى محاكاته وتقليده; هو الجمال الذي أودعـه الله تعـالى في الطبيعـة, فالشمس والقمر والنجوم والبحار والأنهار والأشجار وغيرها من عنـاصر الطبيعـة بألوانهـا وأشـكالها وتنظيمها وترتيبها وتناسقها, هي المصدر الذي كان ولا يزال يـستوحي منـه الإنـسان الجـمال, «فنظريـة التقليد أو المحاكاة في علم الجمال هي القول: إن مبدأ جميع الفنون تقليد الطبيعة»([21]).

وتتنوع الحضارات القديمة في إبراز هذا الجمال وهذا الفن مـن خـلال الرسـم والـنقش, ومن خلال النحت, والبناء, والعمارة.. الخ. وبـالرغم مـن أن ذلـك كلـه لـه دلالات وإشـارات وأغراض ثقافية أخرى رغم الجمال; إلا أني سأتناولها من المنظور الجمالي والغني التي تميزت به ،ففي حضارة وادي النيل تدل تماثيل السلالات المالكة على المهارة الفنية التي وصلت حـد البراعة والجمال, حيث برز فنانو هذا العصر في النحت المجسم, والنحت البارز, ونحتت جـدران المعابد والقصور والقبور نحتًا بارزًا بطراز أكثر ميلاً للطبيعـة, كـما صـنعت تماثيـل مـن الخـشب, وظهر لدى الفنانين ميل لصنع تماثيل ضخمة جدا تزيد في حجمها على الحجم الطبيعي كثيرا, وفي زخرفة الجدران أتقن الفنانون اسـتعمال الألـوان المتعـددة كـاللون الـوردي والأزرق والرمـادي والأصغر والأحمر, وتباعدت الرسوم عن بعضها بمسافات متناسبة([22]). ومع أن تلك الرسوم والنقوش التي ترجع إلى الحضارة المصرية القديمة قديمة جداً, وبالتالي فإنما قد تفقد كثيرا من ألوان بها, وبريقها, بفعل عوامل التعرية, إلا أنها في الواقع «لا تزال تحتفظ ببريق جذاب جعل هيئة الآثار في مصر في الفترة الأخيرة تسعى للحفاظ عل تلك النقوش وألوانها»([23]).

وإذا ما انتقلت إلى وصف الجمال والفن في حضارة بلاد الرافدين فإن اهتمام جنوب بلاد الرافدين إلى الحجارة جعل التماثيل في هذه المنطقة صغيرة وعديمة الانسجام في تورع التي بين حجم الرأس وسائر الجسم, أما في الشمال فيختلف الحال تماما حيث التناسب واضح. وقد لجأ الفنانون إلى المعادن الثمينة أحياناً, كما اهتموا بإبراز معالم الوجه وتقاسيمه, وقد لجأ الفنانون إلى قوالب فأنتجوا أعدادا ضخمة من تماثيل الآجر بأنموذج واحد, فخرج النحـت عـن المقومات الفنية, كما

برع السومريون بالحفر والتطعيم بالعاج على الألواح, وأتقنوا صناعة الخزف, وجمعوا في ذلك كله بين الجمال والإتقان, وعنهم أخذت الشعوب التي حلت محلهم فيما بعد ([24]) ،

وفي مجال الرسم لم يبرع سكان ما بين النهرين بالرسم بقدر ما برعوا بالنحت والنقش نسبيا ,– وهذا واضح من خلال النظر إلى رسوماتهم, حيث لم يميزوا في الرسم بين الصف الأمامي وما خلفه وبالتالي فهو أقل جمالا, والرجل الأهم يبدو أكبر من غيره, كذلك فهم يميزوا بين وقفة مواجهة ووقفة جانبية, وهذا واضح في شكل العين, ثم إن قلة النماذج وغموضها لا تسمح بتكوين فكرة عن هذا الفن لديهم .أما بالنسبة للزينة التي كانت تتحلى بها المرأة السومرية; من حلي وأصباغ وألبسة وأدوات للزينة; فحال المرأة في تلك الحضارة لا يختلف عن حالها في وقتنا الحاضر, فبحثها عن الجمال واضح من خلال المخلفات الأثرية في المقابر, ومن خلال النقش والرسم على الجدران, حيث كانت الحلي ظاهرة, وهي أول ما تطلبه المرأة للتجمل والزينة.

ومما يثبت على أن الحضارة السومرية هي أقدم الحضارات التي عرفتها الإنسانية; وجود تلك التنقيبات الأثرية في العراق, حيث كانت «أقدم الطبقات الحضاريةً مدفونة تحت ترسبات كثيفة من الطمى, وكذلك الحفريات التي وصلت إلى أعمق الطبقات من عدة تلال, وكذلك فإن عمارة المعابد المكتشفة قد مكنت من التوصل إلى استنتاج حول التطور المتواصل والمتعاقب لتقليد إلى الأزمنة السومرية» ديني واحد في أريدو منذ الألف القرن الخامس.([25])

وفي الحضارة الصينية القديمة, كان للجمال فيها حظ وافر; حيث عرف الصينيون فن النقش والحفر والرسم, وتوصلوا إلى إفراغ بعض الأدوات في قوالب وأشكال جميلة...كما حفظت جدران المغارات والكهوف التي سكنوها ببعض معالم الفنون التي تمكنوا من ابتكارها ,وكانت على قدر كبير من الذوق والإتقان, حيث نحتوا عليها وعلى بعض الأحجار الكبيرة الملاصقة لها نقوش لبعض الزهور وصور الحيوانات, إما بطريق النحت الدائري أو النحت البارز, كما نحتوا على بعض الألواح الخشبية التي استخدموها في الأثاثات البدائية نقوش زخرفية, بأشكال عديدة, تميزت إلى حد ما بالرقي والجمال, وفي مجال الحلي كان لهم شأن آخر ;حيث صنعوا قلائد من الأحجار الصغيرة, ومن عظام وأسنان الحيوانات, بعد أن ثقبوها بثقوب وربطوا بعضها ببعض, وهي إلى الآن تعتبر أقدم قلادة ظهرت في العالم القديم([26]). .

أما الأدهان, والأصباغ والجواهر, من أظهر الموجودات في المقابر السومرية, كما عثر على دبابيس من الذهب رؤوسها من اللازورد, كما عثر على ملعقة صغيرة لعلها كانت تستخدم فيأخذ الصبغة الحمراء من المدهنة, وكان فيها أيضا عصا معدنية يستعان بها على ملوسة الجلد, وملقط لعله كان يستعمل لتزيين الحاجبين, أو لنزع ما ليس مرغوبا فيها من الشعر, كما كانت خواتم الملكة .مصنوعه من اسلاك الذهب وعقدها من الذهب المنقوش([27])

وفي الحضارة الإغريقية فمظاهر الجمال فيها ظاهرة, فقد اشتهرت صناعة الخزف, على شكل زهريات وأواني وقوارير, وأصبحً فناً قائما بذاته, كما برز فن العمارة, وشيدتا لمباني والمشاريع الضخمة, والمنشآت العامة, حتى أصبحت أثينا أروع مدن الاغريق على الاطلاق كما برعوا في فن النحت فاستعملوا في البدء الخشب, والمعادن الثمينة, ثم البرونز, وفيما بعد ركزوا اهتمامهم على الرخام, وأتت نماذجهم الأولى خالية من كل حركة خاضعة لمقاييس جامدة, وبعد ذلك تطور هذا الفن فابتعد الفنانون عن الأوضاع الجامدة, فمثلوا الجسم متحركا منحنيا والذراعين والساقين منفتحتين...كما حافظت التماثيل على مستوى رفيع من الجمال لأمرين; أولهما أنها كانت تمثل الآلهة ,وثانيهما إن من

نحت تماثيلهم من البشر كانوا رياضيين, أي من المتكاملين والمتناسقين رياضيا, ولم يكتف الفنان بتمثيل الرداء; بل تعب على ثنايا الثوب حتى يأتي التمثال آية في الابداع([28]).

ومع شيوع هذا التحديد لأصناف القيم, فقد وسع بعض المشتغلين في الفلسفة مثل رالف بيري مفهوم القيم بإطلاقه على سائر الأشياء التي تكون موضع اهتمام أو نفع أو شغف, حيث يقول :(إن كلمة القيمة تشير إلى تلك الناحية من الحياة الإنسانية التي تعودنا أن نستعمل لها الكلمات المباركة, وهي تشير أيضا إلى دلالات أخر, وتستعير المعنى البراق لصفه تمثل: الخير, والحسن ,والحق, والوجوب, وجدير, وجميل, ومقدس, وعادل, وأسماء مثل: السعادة, والرفاهية والحضارة وهي تشير إلى اسم مشترك لما تعنيه هذه الكلمات([29]).

إن الأبعاد الثقافية في اتجاهات الحضارة تحدده العلاقة بين المبدأ الأخلاقي, وبين الذوق الجمالي, حيث يرى مالك بن نبي في شروط النهضة: إن الصلة بين المبدأ الأخلاقي وذوق الجمال ,تحدد طابع الثقافة واتجاه الحضارة, حينما تضع هذا الطابع الخاص على أسلوب الحياة في المجتمع وعلى سلوك الأفراد فيه, فالحياة في مجتمع معين قبل أن تتأثر بالجانب المادي أو الاقتصادي من الحضارة; تتخذ لها اتجاهاً عاماً ولوناً شاملا يجعلان جميع تفاصيلها مرتبطة بالمبدأ الأخلاقي وبذوق الجمال الشائعين في هذا المجتمع, ويمكننا أن نصوغ هذه العلاقة في صورة جبرية هكذا مبدأ أخلاقي زائد ذوق جمالي يساوي اتجاه حضارة([30]).

خلاصة القول إن ما يقوم به الانسان في مجال الآثار هو مجموع دراسات تساهم في بعث وإحياء أعمال الإنسان القديم, وطريقة عيشه, وطبيعة العلاقة التي كانتً قائمة بين المجموعات البشرية, موضحا مراحل تطوره الحضاري منذ نشأته وحتى فنائه, ويعتبر علم الآثار همزة الوصل بين الماضي والحاضر والمستقبل, يستطيع الباحث العلمي الأثري كشف الأحداث علمياً ومنطقيا انطلاقا من ثوابت بعيدة الأصالة يعمل على كشفها التنقيب الأثري ودعامته الأولى البحث العملي الدؤوب والمتواصل والأمين على حضارات الشعوب([31])

حيث ميز الله تعالى الإنسان وخصه دون سائر المخلوقات, بأنه كائن مدرك للقيمُ الخلقية ساع جهده لتحقيقها مفطور على الإتيان بالقيم العليا التي تؤكد على الصدق والبر والتعاون والوفاء والصبر.., قادرا على تحكم بتصرفاته, وتوجيهها الوجهة الصحيحة; من حق وعدل وإحسان وعبودية .. وإذا ما تحقق القيم الحضارية التي بها تستقيم حياته وتسمو; من حرية وسلام وعمل وجمال –القيم العليا, والقيم الحضارية, والقيم الخلقية –حقق الإنسان أنواع القيم الثلاثة([32]). وهي القيم العليا والقيم الحضارية, والقيم الخلقية .

هذا طرح سريع لبعض معالم الذوق الجمالي في بعض الحضارات القديمة, تعرفت من خلاله على مدى التطور الرفيع في مجال الجمال بأشكاله المختلفة, التي كانت تحظى به شعوب تلك الحضارات, كما توصلت من خلاله أن الجمال والفن ليسً حكرا على حضارة دون أخرى, وأن الجمال ذوق فطري, يرغبه الإنسان ويطلبه, ويأنس به, وأن النفس الإنسانية السوية ترى الجمال صفة جوهرية فيها, تنطلق منها إلى آفاق السمو والكمال البشري.

الخاتمة

من خلال تبيان القيم في الحضارات القديمة يتضح أن الإرث الثقافي التراكمي الذي وصل إلينا عن طريق الآثار الحضارية; يكشف لنا وبجلاء مدى التطور الثقافي الذي عاشته تلك الحضارات المتعاقبة, والذي واكبته الديمومة والاستمرار قرونا متتالية. حيث إن نتائج البحث التاريخي في الآثار والحفريات الحضارية القديمة نقلت لنا معلومات قيمة عن الإسهام الحضاري في مجال الأخلاق للشعوب القديمة .ومن خلال الآثار الحضارية المختلفة; فإن الجمال ذوق فطري, يرغبه الإنسان ويطلبه, ويأنس به, وأن النفس الإنسانية السوية ترى الجمال صفة جوهرية فيها . تنطلق منها إلى آفاق السمو والكمال البشري. فتعد القيم أحد الركائز الرئيسة التي تقوم عليها الحياة البشرية, فهي روح سلوك الفرد, والمجتمع, وبها يرتقي, ويحقق إنسانيته, وهي التي تعطي المجتمع ملامحه الحقيقية, وتمثل أسمى جانب مشترك في طبيعة البشر, كما تمثل أبرز عناصر التمايز بين الأمم للحضارات القديمة على اختلافها اهتمام متفاوت بالأدب بشقيه الشعري والنثري ,وكان بعضها يستند إلى خلفيات دينية, وتاريخية, وكان الأدب في معظمه ذا مغزى اجتماعي, وأخلاقي.

الهوامش:

([1]) أي أن أصلها قومة فقلبت الواو ياء لسكون وكسر ما قبلها.
([2]) انظر: مقايس اللغة: (٥/٤٣) مادة (قوم).
([3]) انظر: القاموس المحيط: (١/١٤٨٧).
([4])سورة الأنعام, الآية رقم (١٦١(
([5])لمفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني, تحقيق محمد سيد كيلاني, دار المعرفة, بيروت, (ص٤١٧.(
([6])أساس البلاغة: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري, تحقيق محمد باسل, دار الكتبة العلمية, بيروت, الطبعة الأولى, ١٤١٩هـ, (٢/١١١).
([7])راجع: موسوعة نبرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: إعداد مجموعة من المختصين, بإشراف د. صالح بن عبد الله بن حميد, مؤسسة دار الوسيلة, الرياض, (١/٧٧-٧٩).
([8])مقاييس اللغة, مادة حضر(٢/٥٧.(
([9]) انظر: لسان العرب (٤/١٩٦) مادة (حض)، والقاموس المحيط (١/٤٨١)
([10])مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، (ص٤٨ه).

([11]) قصة الحضارة: ول ديورانت, ترجمة زكي نجيب محمود وآخرون, دار الجيل, بيروت, ١٤٠٨هـ, (ص٣.(
([12])حضارة الشرق القديم بين علم الآثار وحفريات الإبداع: تنسيق أحمد شحلان، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، (ص١٤٢).
([13])انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن الميداني, دار القلم, دمشق, الطبعة الخامسة, ١٤٢٠ه, (١/٢٢
([14])فجر الضمير: (٢٣٥/١).
([15])المرجع الاسبق: (٢٣٥/١).
([16]) انظر: الحضارات (ص١٦٥
([17]) انظر: الحضارة الصينية القديمة (ص٤١١
([18])قصة الحضارة (٢/١٤١
([19]) عرف الإمام أبو حامد الغزالي الجمال فقال «كل شيء جماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به, الممكن له, فإذا كان جعل كالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال وان كان الجمام بعضها فله من الحن والجمال بقدر ما حضر إحياء علوم الدين: أبو حامد، محمد بن محمد الغزالي، دار الشعب، القاهرة، المجلد الرابع, (١٦/٢٥٧٨).
([20])أدب الدنيا والدين: أبو الحسن الماوردي، شرح وتعليق محمد كريم راجح، دار اقرأ، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ, (ص٣٥٥).
([21])المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية, مكتبة الشروق الدولية, القاهرة, الطبعة الرابعة. (١/٣٢٨)
([22]) انظر: الحضارات (ص١٦٥).
([23])انظر: الحضارة الصينية القديمة (ص٤١١).
([24])قصة الحضارة (٢/١٤١).
([25])المدن الأولى ص47.
([26])انظر: الحضارات الصينية القديمة (ص٤٢)
([27]) انظر: قصة الحضارة (٢/٣٣

([28])انظر: الحضارات (ص١٧١–١٦٨(
([29])انظر: نظرية القيمة في الفكر المعاصر: د. صلاح قنصوه, دار الثقافة, القاهرة, سنة ١٩٨٧م. (ص٤٨–٤٧.(
([30])انظر: شروط النهضة (ص١٠٨
([31]) انظر: علم الآثار في الوطن العربي: د. منى يوسف نخلة, منشورات جروس برس, طرابلس لبنان, (ص١٦.(
([32])هذا التقسيم الثلاثي للقيم استفدته من كتاب الثقافة الإسلامية ً خصصا ومادة ً وقسما ً علميا, الذي أعده مجموعة من المختصين في الثقافة الإسلامية, (ص٤٢–٤١.

المصادر

- القران الكريم

1. مقاييس اللغة: لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا, تحقيق عبد السلام محمد هارون, دار الجيل, الرياض١٤٢٠,هـ.
2. لمفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني, تحقيق محمد سيد كيلاني, دار المعرفة ,بيروت.
3. القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي, تحقيق ونشر: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة, بيروت, الطبعة السادسة, ١٤١٩هـ.
4. أساس البلاغة: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري, تحقيق محمد باسل, دار الكتبة العلمية, بيروت, الطبعة الأولى, ١٤١٩هـ,.
5. مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة،
6. موسوعة نبرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: إعداد مجموعة من المختصين, بإشراف د. صالح بن عبد الله بن حميد, مؤسسة دار الوسيلة, الرياض,
7. حضارة الشرق القديم بين علم الآثار وحفريات الإبداع: تنسيق أحمد شحلان، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط،
8. الأخلاق الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن الميداني, دار القلم, دمشق, الطبعة الخامسة, ١٤٢٠ه,
9. فجر الضمير:. جيمس هنري بريستيد, ترجمة: د.سليم حسن, الهيئة المصرية العامة للكتاب٢٠٠٠,م.
10. الحضارة الصينية القديمة: د. سمير عبد المنعم أبو العينين, دار الأمل, الأردن, الطبعة الثانية.
11. أدب الدنيا والدين: أبو الحسن الماوردي، شرح وتعليق محمد كريم راجح، دار اقرأ، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ,
12. حضارة الشرق القديم بين علم الآثار وحفريات الإبداع: تنسيق أحمد شحلان, منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية, الرباط,
13. القيمة في الفكر المعاصر: د. صلاح قنصوه, دار الثقافة, القاهرة, سنة ١٩٨٧م.
14. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية, مكتبة الشروق الدولية, القاهرة, الطبعة الرابعة.
15. قصة الحضارة: ول ديورانت, ترجمة زكي نجيب محمود وآخرون, دار الجيل, بيروت ,١٤٠٨هـ.
16. الحضارات: لبيب عبد الستار, دار المشرق, بيروت, الطبعة الثامنة.
17. -إحياء علوم الدين: أبو حامد، محمد بن محمد الغزالي، دار الشعب، القاهرة، المجلد الرابع,
18. شروط النهضة: مالك بن نبي, ترجمة عمر كامل مسقاوي, دار الفكر, دمشق, الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.
19. المدن الأولى: فاليري غولايف, ترجمة طارق معصراني, دار التقدم, موسكو, ١٩٨٩م.
20. علم الآثار في الوطن العربي: د. منى يوسف نخلة, منشورات جروس برس, طرابلس لبنان.